K-415
Tarandi
A-Yücel

العِلل في الحَديث

دراسة منهجيّة في ضوء
شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي
مع ترجمة ضافية لابن رجب

تأليف
الدكتور همام عبد الرحيم سعيد
مدرس الحديث الشريف وعلومه
بكلية الشريعة ـ الجامعة الاردنية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

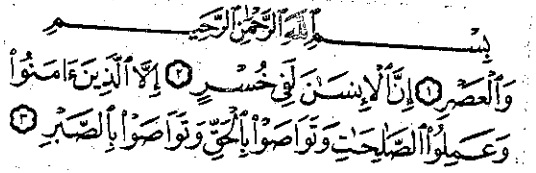
وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣

المقدمـــة

ان الحمد لله أحمده ، واستعينه ، واستغفره ، وأعوذ بالله من شرور انفسنا ، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد :

فان الله تعالى لم يخلق الانسان عبثا ، ولم يتركه سدى ، بل خلقه لعبادته ، وجعل العبادة وظيفة لا تقوم الحياة الا بها ، ولخطر هذه الوظيفة وأهميتها استحقت كل ذلك الحشد الكريم من رسل الله وانبيائه ، ومن أجل بيانها وتفصيل أحكامهـــا ومقوماتها تنزلت الكتب المطهرة ، التي كان آخرها القرآن الكريم الذي أنزل على نبي الانسانية ورسول الله الى العالمين محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجعل الله لكتابه خصائص يختص بها ، منها أنه معجز بلفظه ومعناه ، وانه مصدق لما قبله من الكتـــب ومهيمن عليها .

وحتى لا يكون للناس على الله حجة ، وحتى تزول المعاذير أمر الله رسوله أن يبين كتابه فقال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) (١) وهـــو بيان الصادق المطاع ، الذي أمر الله بمحبته ، والتزام طاعته ، وحذر من مخالفته ، وعصيان أمره ، فقال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) (٢) ، وقال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٣) ، وقال : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٤) . وأمرهم بالاتساء بسنته لانهـــا

---

(١) الاية ٤٤ من سورة النحل .
(٢) الاية ٣١ من سورة ال عمران .
(٣) الاية ٧ من سورة الحشر .
(٤) الاية ٦٣ من سورة النور .

الترجمة العملية لكتاب الله والتطبيق المعصوم لاحكامه ، الى جانب ما فيها من البيان الواضح ، والمنهاج القويم ، والامان من الزيغ والضلال .

والتزام الاتباع وحسن الاتساء هو ما استمسك به الرعيل الاول من أصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم — ، واعتصموا به في حلهم وترحالهم ، وحربهم وسلمهم ، وعضوا على هديه بالنواجذ .

وتوزع الاصحاب في الاقطار وهم يحملون كتاب ربهم وسنة نبيهم ، أما الكتاب فكان محفوظا في الصدور والسطور ، منقولا بالتواتر ، فلا مجال فيه — بفضل الله ورحمته — لعبث العابثين ، ولا لوهم الواهمين ، وسيبقى هذا الكتاب محروسا بحراسة الله ، محفوظا بحفظه ، لا تناله الاهواء ، ولا يغسله الماء (٥) .

وأما السنة فقد تفاوت الناس في حفظها وروايتها بين مكثر ومقل،وضابط ومخل، ومع تقدم الزمن اتسعت الرواية ، وتشعبت حتى فاقت الحصر ، وتعرضت لفتنة عمياء ، وعاصفة هوجاء .

ولكن الله — سبحانه وتعالى — ما كان ليذر حديث رسوله — صلى الله عليه وسلم — وهو المبين لكتابه ، فريسة للاكاذيب والاوهام ، فجعل له سياجا من البصيرة الناقدة ، وحاطه بما يكفل له النقاء والبقاء ، فنشأت الى جانب الرواية ، عمليات النقد والتمحيص ، أو وسائل فحص الراوي والمروي ، ، وهو ما يسمى بعلم الدراية ، وعلى ضوء هذا العلم يكون التصحيح والتضعيف ، والقبول والرد ، وعلى صخرته تكسرت نصال الفتن وسهام الاهواء ، وردت اعنف غارة عرفها تاريخ الانسان أمام صلابة فرسان الحديث الذين جعل الله — تعالى — منهم أداة لقدره وستارا لقدرته ، فردوا كيد الكائدين ، ولاول مرة في تاريخ البشرية تحصى الكلمات والعبارات والافعال والاشارات ، وأسماء الصغار والكبار والكذبة والاخيار ، ومن حلومن ارتحل،

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة : ٤ : ٢١٩٧ .

كل هذا وغيره كثير دون وصف وضبط بقواعد لم نعرفها أمة من قبل ، حتى اصبح لكل راو من الرواة سجل تفصيلي ، يحدد مكانه بين اعلى مراتب الضبط ، وأعلى مراتب الوهم والكذب ، وهذا هو علم الجرح والتعديل .

وعلاوه على ما سبق فانه لم يفت علماءنا الاجلاء أن الثقة العدل مهما علت مكانته وسمت مرتبته فانه معرض للخطأ والوهم ، وان هذا وان كان نادرا ، الا انه من الثقة العدل خطير ومهم ، لان قوله مقبول بين الناس ، وهو حجة عندهم في كل ما يصدر عنه ، ولمثل هذا نشأ علم العلل الذي هو موضوع هذه الرسالة « تحقيقا ودراسة » .

أما ولادة هذه الفكرة موضوعا للدراسة فقد كانت نواتها الاولى بحثا في أولى سنتي الدراسات العليا ، ويومها كتبت بحثا صغيرا في العلل اوقفني على قيمة هذا الموضوع ومكانته بين علوم الحديث ، وكان من بين مراجعي كتاب مخطوط لابن رجب الحنبلي هو « شرح علل الترمذي » ولقد وجدت في هذا الكتاب كلاما جديدا في الموضوع فتح أمامي بابا مغلقا ولجت منه الى ميدان رحب فسيح ، فزادني البحث رغبة في البحث والاستقصاء وجمع مخطوطات هذا العلم ، ولم تثنني العقبات والصعوبات من ان اتابع هذا الامر حتى تجمعت عندي حصيلة جيدة اعانتني على تكوين صورة اولية لفهم هذا العلم .

ولما حصلت على الماجستير لم أتردد في اختيار موضوع للدكتوراة من خلال هذه الحصيلة فجعلت « كتاب شرح علل الترمذي لابن رجب » موضوعا للرسالة تحقيقا ودراسة .

وها أنا — بفضل الله وعونه — أتقدم بخلاصة جهدي وعصارة فكري ، وهو — والله اعلم — بحث غير مسبوق ، اشتمل على أسبق دراسة نظرية للعلل الى جانب أن كتاب ابن رجب يحقق من فضل الله لاول مرة ، فأكون — ان شاء الله — قد اكدت وأسست .

وقد جعلت رسالتي هذه في قسمين :

القسم الاول : الدراسة .

القسم الثاني : التحقيق .

أما الدراسة فقد جعلتها في بابين وخاتمة :

الباب الاول : وهو العلل على ضوء شرح علل الترمذي . فيه أربعة فصول :

الفصل الاول : في العلة وميدانها وأشهر علماء العلل . وجاء هذا الفصل كتمهيد مناسب للكلام على شرح علل الترمذي ، وفيه ناقشت اصطلاح العلة وعرضت كلام العلماء في تعريف علة الحديث ، ثم رجحت ما رأيته الانسب على ضوء هذه الدراسة . كما تكلمت في هذا الفصل عن نشوء علم العلل ونموه ، وأوجزت الكلام عن أشهر علمائه ، وما صنف فيه .

الفصل الثاني : وهو في التعريف بأصل كتاب ابن رجب الذي هو علل الترمذي الصغير ، وذلك تمهيدا للكلام على منهج ابن رجب في كتابه شرح علل الترمذي الصغير، وذلك تمهيدا للكلام على منهج ابن رجب في كتابه شرح علل الترمذي . وفي الكلام عن المنهج تعرضت لمناهج كتب العلل السابقة وحددت مكان كتاب ابن رجب منها . وختمت هذا الفصل بعرض لاهم مصادر العلل التي اعتمد عليها ابن رجب .

ولم انس في هذا الفصل أن أعرف بالامام الترمذي صاحب الاصل المشروح .

الفصل الثالث : وهو دراسة حول علم العلل من خلال كتاب ابن رجب ، وهذا الفصل هو لب الرسالة وواسطة عقدها ، وتكلمت في المبحث الاول عن أسباب العلة من خلال كتاب ابن رجب وأعدت بعضها الى الضعف البشري ، وبعضها الى خفة الضبط وبعضها الى الاختلاط ، وبعضها الى الرواية بالمعنى ، وبعضها الى الاسباب العارضة ، وبعضها الى التدليس وبعضها الى الرواية عن المجروحين والضعفاء .

وأيدت ذلك كله بأمثلة تطبيقية وشواهد عملية من كتاب ابن رجب وكتب العلل الاخرى التي استقصيتها وأخرجت الكثير من دفائنها وسبرت أسباب العلة فيها .

وفي المبحث الثاني : تكلمت عن معرفة العلة والكشف عنها من خلال كتاب ابن رجب وفي معرفتها حملت قول القائلين « ان علم العلل كالعرافة » على اتساع هذا العلم وترامي اطرافه أمام الجاهل المحدود في رؤيته ومعرفته . وبينت أن لهذا العلم أسسه ومعارفه ووسائله . وحاولت حصر الوسائل التي تلزم الباحث في العلل .

أما المبحث الثالث : فقد جعلته في أنواع العلل من خلال كتاب ابن رجب وتكلمت فيه عن أنواع علة المتن وأنواع علة الاسناد ، وحاولت في هذا المبحث أن أحصر اكثر أنواع العلل ، مستعينا على ذلك بكتب العلل الاخرى ، وقد استقرأت الانواع في بعضها عن طريق المسح الشامل لها ، كما فعلت في علل ابن أبي حاتم ، وعلل الامام أحمد وعلي بن المديني . ومع كل نوع ذكرت أمثلة تطبيقية توضحه وتيسر فهمه .

أما المبحث الرابع : فقد جعلته لنوع من العلة يعبر عنه العلماء بقولهم : حديث فلان أشبه ، أو أشبه بالصواب ، أو يشبه حديث فلان ، وأطلقت على هذا المبحث أسم « الاشباه في العلل » وذكرت أمثلة لهذا وفصلت القول في بعضها ، وفي هذا المبحث نجد علم العلل في أدق مسائله وأخص جوانبه . وقد استمددت هذا المبحث من قول ابن رجب : حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم لهم فهم خاص يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان .

أما الفصل الرابع والاخير في هذه الدراسة فقد جعلته لبعض مباحث مصطلح الحديث التي تعرض لها ابن رجب وأظهر فيها نوع براعة أو شخصية علمية منفردة، وقد تعرضت في هذا الفصل للمرسل وللعنعنة ولزيادة الثقة . وقارنت رأي ابن رجب بآراء غيره من العلماء ووقفت معه في بعضها ، وعارضته في بعضها الاخر .

وأما الباب الثاني : فقد جعلته في عصر ابن رجب وحياته وجهوده في الحديث . وهو في ثلاثة فصول :

الفصل الاول : عصر ابن رجب ، وقد تكلمت عليه من الناحية السياسية ، والاجتماعية ، والعلمية ، وأوجزت الكلام في هذا واكتفيت عن الاطالة بالايجاز الذي

يعطي الملامح الرئيسية ، ويناسب موضوع دراسة في الحديث لا في التاريخ . وقد أبرزت في الكلام عن الناحية العلمية تلك الحركة الموسوعية في كل المجالات التي عبرت عنها بأنها تعبئة الامة الاسلامية في وجه التحديات المغولية والصليبية والفاطمية ، واستطاعت الامة أن تجتاز كبوتها وتنجو من محاولة الاستئصال المسعورة التي شنها عليها الشرق ممثلا في المغول ، والغرب ممثلا في الصليبيين ، والفرق المضلة ممثلة في الباطنية والفاطمية .

الفصل الثاني : وهو في حياة ابن رجب وشيوخه وتلاميذه .

وقد حررت في هذا الفصل نسبة هذا الامام وهو ابو الفرج زين الدين عبدالرحمن ابن أحمد بن رجب بن الحسن ، البغدادي ، ثم الدمشقي ، الحنبلي . وذكرت أن مولده كان في بغداد سنة ٧٣٦ هـ وناقشت اختلاف العلماء في تفصيلات حياته ، ثم تحدثت عن اسرته ، وكشفت عن مكانتها ، وأكدت أنها اسرة علمية معروفة .

وتحدثت في هذا الفصل عن نشأة ابن رجب ورحلته ، وجليت جوانب لم تتعرض لها كتب التراجم اثناء الحديث عن ترجمة ابن رجب ، واستمددت هذا البحث من الاستقصاء الشامل لذكر ابن رجب في عدد من الموسوعات التاريخية .

واستطعت — بفضل الله — أن أسجل لاول مرة مشيخة للرجل وانتهجت في ذكر الشيوخ أسلوبا مبتكرا يذكر اسم الشيخ ولقبه وكنيته ، وسني الولادة والوفاة ، وكيف تحمل ابن رجب عنه ، ومتى ، وأين . ثم ذكرت طائفة من المراجع التي ترجمت لهذا الشيخ ، وختمت الكلام عن الشيوخ بترجمة موجزة لثلاثة منهم . وكذلك فعلت بثبت تلاميذه .

الفصل الثالث : تكلمت فيه عن جهود ابن رجب في الحديث رواية ودراية . وفي الرواية تكلمت عن روايات ابن رجب وأسانيده التي ذكرها في كتبه ، وكان هذا على وجه الاجمال والاختصار ، لان الرواية ضمرت في الاعصار المتأخرة ، وانصبت على

رواية الكتب والاجزاء ، وبقيت الرواية فيما عدا هذا علامة على ميزة الاسناد في الامة الاسلامية .

وأما في دراية ابن رجب فقد فصلت الكلام وتكلمت على « شرح الترمذي » ، و « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » ، و « جامع العلوم والحكم » ، ومجموعة رسائله الحديثية . ولقد أبرزت في هذا المبحث كتابا من عيون كتب ابن رجب وهو شرح الترمذي ، وعرفت به ، وبمنهج ابن رجب فيه ، اعتمادا على البقية الباقية من هذا الكتاب الذي أصابه ما أصاب دمشق في محنتها مع التتار سنة (٨٠٣ هـ) ،فاحترق الكتاب الا ورقات منه .

وأما فتح الباري بشرح صحيح البخاري فقد عقدت مطلبا تحدثت فيه عن منهج ابن رجب فيه ، كما تكلمت عن الفوارق بينه وبين كتاب ابن حجر « فتح الباري » ، والجدير بالذكر أن ابن رجب هو من طبقة شيوخ ابن حجر .

ثم تكلمت عن منهج ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » وختمت الكلام عن جهود ابن رجب في الحديث بمطلب عرضت فيه رسائله الحديثية بايجاز .

أما تحقيق المخطوط : فقد حصلت بفضل الله وعونه — على ثلاث نسخ مخطوطة ، اعتمدت أكملها اصلا للتحقيق وهي نسخة كاملة فيها بعض الخروم اليسيرة ، وبعض الصفحات التي أتى عليها الزمن فلم تتضح سطورها الابمشقةوصبر. ولقد قابلت على هذا الاصل النسختين الاخريين وفيهما خرم من أولهما يبلغ أربع عشرة لوحة .

وقد انتهجت في تحقيق المخطوط ما يلي :

١ — ضبط النص والصبر على المشتبه منه حتى يتضح لي تماما ، معتمدا في هذا على كثير من المراجع الاصلية .